

الكيف لا الكم

للاستاذ أحمد أمين

بالكم من غير شعور وبلا وعي، وصار هذا مرضا ملازما، انما يتحرر منه الفلاسفة والى حد، ألا ترانا نرى الرجل الضخم حسن الهيئة جميل الطلعة فمنحه الاحترام، ولو لم نعرف قيمته، ونرى الرجل صغير الجسم غير مهتمم الثياب فنحتقره لأول وهلة من غير ان نعرفه، واساس معاملتنا بالاجمال احترام ذوى المظاهر الجميلة حتى يثبت العكس، واحتقار ذوى المظاهر الوضيعة حتى يثبت العكس، وليس ذلك الا من خداع الكم، ولو انصفنا لوقفنا على الحياض من الجميع حتى نقبين الكيف.

ونرى ذا العمامة الكبيرة واللحية الطويلة فنعتقد فيه العلم والدين، مع ان لا علاقة بين كبر العمامة وطول اللحية، وبين العلم والدين، وان كان تمت علاقة فعلاقة الضدية، لان الدين يحل القلب والعلم موطنه الدماغ، واذا ملأ القلب ديننا والدماغ علما، احتقر المظهر واني ان يدل على دينه او علمه بمظهر خارجي، بل هو ان امتلاء دينا وعلمنا انكر على نفسه الدين والعلم، واعتقد انه ابعدهما يكون عما ينشده من دين وعلم، وكذلك الشأن في اللباس الجماعي واللباس الكهنوتي.

وقدما ادرك العرب خداع الكم فقالوا: ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل، وقال شاعرهم:

ترى الرجل النحيف قزدرية وفي أثوابه أسد مزير
ويعجبك الطير فتبتليه فيخف ظنك الرجل الطير
وفي كل شأن من شؤون الحياة وضرب من ضروب العلم
والفن ترى خداع الكم، ولناخذ الادب مثلا

فالماؤلفون يعلنون عن كتبهم أنها في أربع مائة صفحة - مثلا - من القصاص الكبير، والمتعلون كثيرا ما باهوا بكثرة ما قرؤوا، والكتاب بكثرة ما كتبوا، والصحافة كثيرا ما خدعت القراء بالكم فكان مما اصطنعته زيادة عدد الصفحات في الجرائد والمجلات مع أن الصفحات وحدها كم، ولا قيمة لها ما لم يصحبها الكيف، وكأني أن أرى جريدة أو مجلة ترغب قراءها بالكيف فقط، وإن كنت أجزم بأن مصيرها الفشل لأن أكثر الناس لم يمنحوا - بعد - ميزان الكيف

وقد جرت كثرة الصفحات في الجرائد والمجلات الى تحويل الاسلوب الى ما يناسبها، فكان الاسلوب احيانا كالعن المنفوش، يصاغ في صفحة، ما يصح ان يصاغ في عمود، وفي عمود ما يصح ان يصاغ في سطر - ولست ادري لم كان الناس إذا ارسلوا تلغرافا

روي ان ابن سينا كان يسأل الله أن يهبه حياة عريضة وان لم تكن طويلة، ولعله يعنى بالحياة العريضة حياة غنية بالتفكير والانتاج، ويرى ان هذا هو المقياس الصحيح للحياة، وليس مقياسها طولها اذا كان الطول في غير انتاج، فكثير من الناس ليست حياتهم الا يوما واحدا متكررا، برناجهم في الحياة أكل وشرب ونوم، أمسهم كيومهم، ويومهم كغدهم، هؤلاء ان عمروا مائة عام فابن سينا يقدره بيوم واحد، علي حين انه قد يقدر يوما واحدا - طوله أربع وعشرون ساعة - بعشرات السنين اذا كان هذا اليوم عريضا في منتهى العرض، فقد يوفق المفكر في يومه الى فكرة تسعد الناس أجيالا أو الى عمل يسعد آلافا، خياة هذا - وان قصرت - تساوى أعمار آلاف بل قد تساوى عمر أمة، لأن العبرة بالكيف لا بالكم.

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد وتقدير الاشياء بالكيف لا بالكم منزلة لا يصل اليها العقل الا بعد نضوجه. أما الطفل في نشأته، والامة في طفولتها فأكثر ما يعجبهما الكم، فالرأبي عنده خير «الخيار» ما كبر حجمه وينع بالكوم، والمدني خير «الخيار» عنده ما نحف جسمه وكان «كالقشة» ويسع بالرطل. والطفل وأشباهه يرغبون بكثرة العدد لا بجودة الصنف، فحيثما مرتت في الشارع أو زرت متجرا رأيت أكثر التزغيب بالكم «فاربعون ظرفا وجوابا بتعريفة»، و«دسته أفلام رصاص بصاغ»، وهكذا، وسبب هذا ان البيع والشراء يعتمدان على ادق قوانين علم النفس، والباعة من اعرف الناس بهذه القوانين التي تتصل بعقلية الجمهور، فهم يعلمون انهم أكثر تقويما للكم، وأكثر انخداعا بالعد، فهم يأتونهم من نواحي ضعفهم وموضع المرض منهم، وقل ان يرغبوهم في الشيء بانه من «العال»، أو «عال العال»، لان هذا تقدير للكيف وليس يقدره الا الخاصة.

وكل انسان قد مر بدور الطفولة، والامم جميعها مرت كذلك بهذا الدور فعلق باذهانهم تقدير الكم ولم يستطيعوا ان يتحرروا منه مهما ارتقوا، وأصبحوا - حتي الخاصة منهم - ينخدعون

الشعر المرسل ايضا

للاستاذ محمد فريد أبو حديد

نشرت الرسالة ترجمتين لقطعة من رواية «عطيل» الشهيرة،
إحداهما نثر والأخرى شعر مرسل، وقد حاولت أن أعرف
رأى الأصدقاء في أوقع الترجمتين في نفوسهم أمى الترجمة الأولى
أم الثانية. وكان رأى الكثرة أنه الشعر المرسل. على أن
بعضهم استدرك في قوله، فقال إن الذى يقرأ السطر الواحد من
الشعر المرسل ثم يقف في آخره ينتظر ما اعتاد انتظاره من انتهاء
المعنى يشعر بالمضاضة، ويقبح في عينه ذلك الأسلوب.

ولكنه إذا قرأ ذلك الشعر المرسل على سجيته فلم يقف إلا
حيث يقف به المعنى وجده قولاً سائفاً لا قبح فيه.

وهاً نذا أعرض على القارئ صفحة من رواية صغيرة لى بها
علم وهى فى شعر مرسل. وقف فيها رجل غجرى يحاول إلا أنه
قلب فتاة من جنسه جامحة العاطفة معرضة عنه، وهى تجيبه إجابة
تمنع ودلال.

الفتي:

جرحت فؤادى

بدلال يثير فى لهىأ
فأعبدى سعادتى وأعبدى
بسماوات الرضا أعبدى حياتى

الفتاة: (ضاحكة ساخرة)

ليت قلبى يسير طوعى سميعاً
فيلبى نداء كل شفيح.
ان قلبى له هواه فيمضى
حيث شاء الهوى جوحاً عنيداً.

الفتي: كنت (ميسون) سلوتي وحبائى

فاذكرى عهدنا القديم وعودى
لفؤادى الجريح ياميسون.

الفتاة: (بعناد)

ان ماء العيون يحلو جديداً
وجسمال الغرام أن نتولى
كفراش الربيع بين الزهور

تخبروا اوجز الالفاظ لاغزر المعانى، ولم يفعلوا شيئاً من ذلك فى
كتبهم ورسائلهم ومقالاتهم؟ ولعلمهم يفعلون ذلك لأن الكلمات فى
التلغراف تقدر بالقروش وليس كذلك فيما عداها. إن كان هذا
هو السبب دل على تقدير القرش أكثر مما يقدر زمن القارئ.
والكاتب، وفى هذا منهى الشر، وفى هذا أقصى مثل لغفلة الناس فى
تقدير الكم لا الكيف

وقديما عرض علماء البلاغة للكيف والكم فى الأدب وسموها
اسماً خاصاً هو الإيجاز والاطناب، وعدوا الإيجاز اشرف الكلام
والاجادة فيه بعيدة المنال لما فيه من لفظ قليل يدل على معنى كثير،
ومثلوا للإيجاز والاطناب بالجوهره الواحدة بالنسبة الى الدرهم
الكثيرة، فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدرهم لكثرتها، ومن
ينظر الى شرف المعانى يؤثر الجوهره الواحدة لنفاستها، ولا يعدل
عن الإيجاز الى الاطناب إلا لا يوضح معنى أو تاء كيد راي.

والحق ان الادب العربى فى هذا الباب من خير الآداب، فأكثر
ما صدر فى عصوره الأولى حبات من المطر تجمعت من سحب
منتشر، او قطرات من العطر استخلصت من كثير من الزهر

وبعد، فلست احب ان تكون كتابتنا كلها تلغرافات، وإذن
لعدمتنا ما للأسلوب من جمال، وما لتوضيح الفكرة وتجليتها وتحليلها
من قيمة، وإنما اريد ان يكون المعنى هو القصد وهو المقياس فان
أطنبنا فللمعنى، وإن اوجزنا فللمعنى

واريد ان يقوم الناس الكيف للكيف، وإذا قدروا الكم
فللكيف

ولعل من أطف ما كان، انى حين بلغت هذا الموضع من
مقالاتى اخذت اعد صفحات ما كتبت، فوجدتها قليلة العدد فأتى ذلك
لأنى لم ابلغ ما حزرت ان يكون، ولأنى خشيت أن يستصغرها
صاحب الرسالة، وقراء الرسالة، وفرحت بهذه الملاحظة لأنها
سدت فراغاً ما فى المقالة يكمل بعض ما فيها من قصر، ألسنا جميعاً
عباد (كم)، أو ليس هذا من نوع تقدير الخيار بالكوم؟

